القصيدةُ:

[القصيدةُ اللاميَّة في شفاعة النبي ـ ﷺ]

[بحر البسيط]

١ ـ النَّاسُ قَدْ شُغِلُوا بِالْمَالِ وَالْأَمَلِ
وَغَافَلُوا عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
٢ ـ ظَنُّوا بِأَنَّهُمُ لَا يُسْأَلُونَ غَداً
عَمَّا جَنَوْهُ مِنَ الْآثَامِ وَالزَّلَلِ
٣ ـ فِي مَوْقِفٍ يَا لَهُ(١) شَابَ الْوَلِيدُ لَهُ
وَالدَّمْعُ كَالْمُزْنِ تَهْمِي(٢) مِنَ سَمَا(٣) الْمُقَلِ

---

(١) أي: في موقف يا له من موقف عظيم ما أشدَّ هولَه، ومِن هولِه: أنْ شاب الوليدُ له.

(٢) قال في القاموس: (هَمَى الماءُ والدمع يَهْمِي هَمْياً وهُمِيّاً وهَمَيَاناً و- العين: صَبَّت دمعَها). ١٣٤٦.

(٣) أي: سماء. بقصر الممدود للضرورة. انظر: ميزان الذهب، ٣٧. وفي أغلب ما ذكرت فيه الضرورة مما يأتي: ينظر للاستزادة: ميزان الذهب، ٣٦ ـ ٤٠.

٤ ـ وَهُمْ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مِثْلُ مَا خُلِقُوا
بُهْماً[(١)] وَغُرْلاً بِلَا شَكٍّ وَلَا خَبَلِ
٥ ـ وَالشَّمْسُ قَدْ وَقَفَتْ، لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمُ
وَبَيْنَهَا: غَيْرُ مِيلٍ، وَهْيَ لَمْ تَفُلِ[(٢)]
٦ ـ وَالنَّاسُ قَدْ حُشِرُوا، وَالشَّمْسُ تُحْرِقُهُمْ
وَهُمْ سُكَارَى لِمَا يَلْقَوْنَ مِنْ وَجَلِ
٧ ـ قَدْ نَالَهُمْ عَرَقٌ بِقَدْرِ فِعْلِهِمُ
وَالنَّاسُ كُلٌّ لِهَذَا غَيْرُ مُحْتَمِلِ
٨ ـ وَقَدْ أَتَوْا آدَمَ[ـا][(٣)]، نَادَوْا بِأَجْمَعِهِمْ:
اِشْفَعْ إِلَى رَبِّنَا الرَّحْمَنِ وَابْتَهِلِ

---

(١) قال ابن الأثير رحمه الله في نهايته، ٢/ ٤٠٢: (البهم جمع بهيم، وهو في الأصل: الذي لا يخالط لونه لون سواه، يعني: ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا كالعمى والعور والعرج وغير ذلك... وقال بعضهم: روي في تمام الحديث: «وقيل ما البهم؟ قال: ليس معهم شيء»، يعني: من أعراض الدنيا، وهذا يخالف الأول من حيث المعنى).

(٢) أصلها: لم تأْفُل. أي: لم تغب. وهي ضرورة قبيحة.

(٣) في النسخ كلها: آدم. والممنوعُ من الصرف يدخلُه الصرفُ في الشعر =

٩ ـ نَـادَاهُـمُ: لَـمْ أَكُـنْ أَهْـلاً لِـذَلِـكَ؛ قَـدْ
عَـصَـيْـتُ رَبِّـي، وَإِنِّـي الْـيَـوْمَ فِـي خَـجَـلِ[1]

١٠ ـ سَـارُوا لِـنُـوحٍ فَـنَـادَوْهُ، فَـقَـالَ لَـهُـمْ
ـ كَـقَـوْلِ آدَمَ ـ: إِنِّـي الْـيَـوْمَ فِـي وَجَـلِ

١١ ـ إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى قَوْمِي، فَلَسْتُ أَرَى
لِـنَـفْـسِـيَ الْـيَـوْمَ مِـنْ قَـوْلٍ وَمِـنْ عَـمَـلِ

١٢ ـ قَـالُـوا: فَـنَـادُوا خَـلِـيـلَ اللهِ، إِنَّ لَـهُ
جَاهاً، فَيَشْفَعُ عِنْدَ الْوَاحِدِ الْأَزَلِـ[ـي][2]

١٣ ـ فَقَالَ: هَيْهَاتَ! إِنِّي لَا أَرُومُ سِوَى
خَـلَاصِ نَـفْـسِـي، وَهَـذَا غَـايَـةُ الْأَمَـلِ

= ضرورةً، وبعضُ النساخ يكتب المنوَّن المفتوح بغير ألف أحياناً.

(١) هكذا في جميع النسخ، إلا في (د) ففيها: وَجَل. يؤيدُ الأولَ تواردُ أكثر النسخ عليه، وأن تكرارَ الكلمة ذاتها بلفظها ومعناها من عيوب القافية، ويُسمى: إيطاءً، وإنما أجازوا ذلك بعد سبعة أبيات فأكثر. انظر: ميزان الذهب، ١٤٠. ويؤيد الثانيَ ما جاء في البيت بعده.

(٢) في جميع النسخ بلا ياء، ولعل صوابها ما أثبت: الْأَزَلِيُّ؛ لكن بتخفيف يائها للضرورة.

١٤ ـ وَبَعْدَهُ سَأَلُوا مُوسَى، فَقَالَ لَهُمْ:
قَتَلْتُ نَفْساً[(١)]، وَإِنِّي الْيَوْمَ فِي شُغُلِ

١٥ ـ فَقَاصَدُوا نَحْوَ عِيسَى، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:
إِنِّي اتُّخِذْتُ إِلَهاً[(٢)]، لَيْسَ ذَلِكَ لِي

---

(١) في (أ) و(ب): إني قتلت نفساً. ولا يستقيم البيت بذلك. وإنما يستقيم بما في أي من النسختين الأخريين: إما (ج) وفيها: إني قتلت. من غير كلمة: نفساً. وإما (د) وفيها: قتلت نفساً. من غير كلمة: إني. وهو المختار؛ لأنه أقرب إلى لفظ القرآن: ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩]. ولأن فيها إسراعاً إلى ذكر ما يعُدُّه جناية توجبُ وجلَه من هذا المقام، وهذا معنى بلاغيٌّ مراعًى، وهو أجودُ مما يفيده تكرار: (إِنِّي)، في جملة واحدة.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: (قوله: «فيأتونه»، في رواية مسلم: «فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم»، وفي حديث أبي هريرة: «فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله، وكلمتُه ألقاها إلى مريم، ورُوح منه، وكلَّمت الناس في المهد صبيّاً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟»، مثل آدم قولاً وجواباً، لكن قال: «ولم يذكر ذنباً»، لكن وقع في رواية الترمذي من حديث أبي نَضْرة عن أبي سعيد: «إني عُبِدْتُ من دون الله»، وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس: «إني اتُّخِذْتُ إلهاً من دون الله»، وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور نحوه، وزاد: «وإنْ يغفر لي اليوم حسبي»). فتح الباري، ١١/ ٤٣٥.

١٦ ـ ثُمَّ أَتَوْا أَحْمَدَ الْمُخْتَارَ، فَهْوَ لَهَا
نَادَوْهُ: يَا أَحْمَدٌ[(١)]!، يَا أَشْرَفَ الرُّسُلِ!

١٧ ـ اِشْفَعْ لَنَا رَبَّنَا، لِفَصْلِ مَا بَيْنَنَا[(٢)]
طَالَ الْوُقُوفُ بِنَا فِي أَضْيَقِ السُّبُلِ

١٨ ـ ثُمَّ يَخِرُّ شَفِيعاً[(٣)] فِي تَذَلُّلِهِ
يَقُولُ: فَاقْضِ فَأَنْتَ الدَّائِمُ الْأَزَلِـ[ـي]

١٩ ـ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْضِي اللهُ بَيْنَهُمُ
وَعَنْ قِوَامِ سَرَاحِ[(٤)] الْعَدْلِ لَا تَسَلِ

---

(١) بالتنوين ضرورة. وانظر: شرح ابن عقيل، ٢/٢٣٦.

(٢) أي: اشفع لنا إلى ربنا. وهذا الشطر ورد هكذا في: (أ) و(ب). وفي (ج): اِشْفَعْ إِلَى رَبِّنَا يَفْصِلْ لِمَا بَيْنَنَا. وفي (د) مثل (ج) إلا كلمة (لِمَا) فبالباء بدل اللام.

(٣) كما في (د) و(ج). وفي (أ) ساجداً.

(٤) كذا في (أ) و(د) و(ج)، وفي (ب): شراح. ولم أتبين المراد بعد. وربما كان صوابها: (سراج). وإن كانت صحيحة فقد يكون المعنى: (وعن استقامة إطلاق العدل)؛ لأن القوام يأتي بمعنى الاستقامة، والسراح بمعنى الإطلاق. والله أعلم.

٢٠ ـ فَيُدْخِلُ النَّارَ أَقْوَاماً بِزَلَّتِهِمْ[١]
لَمْ يَدْرِ عَمَّا دَعَاهُمْ سَيِّدُ الرُّسُلِ
٢١ ـ حَتَّى إِذَا أُنْفِذَتْ أَحْكَامُ خَالِقِهِمْ
فِيهِمْ: تَدَارَكَهُمْ بِاللُّطْفِ عَنْ عَجَلِ
٢٢ ـ فَيَأْمُرُ اللهُ جِبْرِيلـ[ـا][٢] يُحَدِّثُهُ
بِمَا لَقُوهُ فَيَأْتِيهِ بِلَا مَهَلِ
٢٣ ـ فَعِنْدَ ذَا يَسْجُدُ الْمُخْتَارُ مُبْتَهِلاً
لِمَاجِدٍ لَمْ يَزَلْ يَعْفُو عَنِ الزَّلَلِ
٢٤ ـ إِذِ النِّدَاءُ مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ لَهُ:
اِشْفَعْ تُشَفَّعْ ـ حَبِيبِي[٣]! ـ ثُمَّ قُلْ وَسَلِ

---

(١) بألف التنوين في كلمة (أقواماً) في: (أ) و(ب) و(د). وفي (ج): أقوام. بدونها، وعليه فيكون أول البيت بهذا الضبط: فَيَدْخُلُ النَّارَ أَقْوَامٌ. أو: فَيُدْخَلُ.

(٢) كذا، بلا تنوين في جميع النسخ، وتقدم أن التنوين هنا جائز للضرورة، وكذلك يجوز للضرورة إشباع فتحة اللام بدلاً من التنوين، لكن الأول أظهر؛ لأن صرف الممنوع من الضرورات الشائعة المتفق عليها، بخلاف الإشباع فهو ضرورة قبيحة.

(٣) استعمال هذه الكلمة صحيح ولا إشكال فيه، فنبينا محمد ﷺ هو =

٢٥ ـ يَخْرُجُ مِنْ نَارِنَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُنَا
وَقَدْ عَصَانَا وَفِي نَارِ الْجَحِيمِ صُلِـ[ـي][1]

٢٦ ـ فَأَنْتَ[2] يَا أَحْمَدُ، لَوْلَاكَ مَا خَرَجُوا
مِنْهَا، وَلَا ظَفِرُوا بِالْعَفْوِ مِنْ قِبَلِـ[ـي]

= حبيب الله، لكن المحبة على درجات، أعلاها الخلة، وقد ثبتت الخلة لنبينا محمد ﷺ ولإبراهيم عليه السلام فما دام قد ثبتت الخلة التي هي أعلى أنواع المحبة، وهي التي لا يشارك فيها نبيَّنا محمداً ﷺ إلا إبراهيم عليه السلام فوصف النبي ﷺ بها عند ذكره أولى من وصفه بمطلق المحبة التي يشترك فيها كثير من الناس، يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله ـ: (ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً». وقال: «ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن». والحديثان في الصحيح... بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة... والمحبة مراتب... العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه...). انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦.

(١) أي: يخرج من نارنا، من كان من أهل الإسلام والتوحيد، لكنه عصانا، وبسبب هذه المعصية صُلِي في نار جهنم، فهذا ـ بسبب توحيده ثم بشفاعتك ـ يخرج. وقد يكون (صَلِي) بفتح الصاد.

(٢) في (أ) و(د): فأحمدت. وفي (ب): فاحمدنا. والمثبت من (ج). إذ هو =

٢٧ ـ لِأَنَّهُمْ سَلَكُوا طُرْقَ الْعُصَاةِ وَلَوْ
تَابُوا: قَبِلْتُ لَهُمْ، قَبْلَ انْقِضَا الْأَجَلِ
٢٨ ـ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النِّيرَانِ تَحْسِبُهُمْ
ذَبَائِلَ(١) الْفَحْمِ كُلٌّ ذَابَ ثُمَّ جُلِـ[ـي](٢)
٢٩ ـ حَتَّى إِذَا وَرَدُوا مَاءَ الْحَيَاةِ غَدَوْا
مِثْلَ الْبُدُورِ الَّتِي لَاحَتْ مِنَ الْكِلَلِ(٣)

= الذي يستقيم به الوزن، وإن كان ما في النسخ الأخرى أليقَ من جهة المعنى.

(١) المتبادر إلى الذهن من السياق أن المعنى: يصيرون أشياء ذابلة، من الذبول، الذي هو: اليبس والجفاف. وذلك أن الله ﷻ يأذن بالشفاعة لمن يدخل النار من أهل المعاصي المسلمين بعد أن يحترقوا ويصيروا فحماً. لكن يشكل عليه أن ذبائل ليست جمعاً لـ(ذابل) أو (ذابلة). فالأظهر ـ بالنظر إلى اللفظ والمعنى ـ أن الصواب فيها: الذبائل: جمع ذبالة، وهي: الفتيلة التي تحترق في السراج، ويضرب بها المثل في النحافة. والله أعلم.

(٢) أي: أُخْرِجَ من النار، من الجلاء، الذي هو: الكشف والظهور؛ إذ إنهم يُخْرَجُونَ جماعات من النار إلى ماء الحياة.

(٣) أي: الستور الرقيقة، جمع: كِلَّة.

٣٠ ـ فَـيَـدْخُـلُـونَ جِـنَـانـاً طَـالَ مَـسْـكَـنُـهُ
نَـعِـيـمُـهُ لَـمْ يَـكُـنْ عَـنْـهُـمْ بِـمُـنْـفَـصِـلِ
٣١ ـ يَـا أُمَّـةَ[١] سَـيِّـدِ الْـمُـخْـتَـارِ إِنَّـكُـمُ
لَأُمَّـةٌ شَـرُفَـتْ بِـالْـعِـلْـمِ وَالْـعَـمَـلِ
٣٢ ـ أَنْـتُـمْ ثَـمَـانُـونَ صَـفّـاً تَـدْخُـلُـونَ غَـداً
جَـنَّـاتِ عَـدْنٍ وَمِـنْـكُـمْ صَـالِـحٌ وَوَلِـ[ـي]
٣٣ ـ وَأَرْبَـعُـونَ سِـوَاكُـمْ يَـدْخُـلُـونَ إِلَـى
جَـنَّـاتِ رَبِّـهِـمُ مِـنْ سَـائِـرِ الْـمِـلَـلِ
٣٤ ـ وَالْـحَوضُ قَـدْ خَـصَّـهُ رَبُّ الـسَّـمَـاءِ بِـهِ
وَمَـاؤُهُ كَـوْثَـرٌ يَـشْـفِـي مِـنَ الْـعِـلَـلِ[٢]

---

(١) بإشباع الفتحة للضرورة.

(٢) في (أ) و(ب): الغلل. وفي (ج) و(د): العلل. وكلاهما صحيح؛ إذ الأول: العطش، والثاني: المرض. وهو أقرب؛ لأنه المناسب لكلمة (يشفي). وليته قال: (يروي من الغلل)، لكونه أكثرَ تناسباً مع ألفاظ أحاديثِ الحوض التي فيها بيانُ أنَّ مَن شرِب منه لم يظمأ أبداً.

٣٥ ـ وَالْأَنْبِيَاءُ غَداً فِي الْحَشْرِ تَتْبَعُهُ
تَحْتَ اللِّوَاءِ الَّتِي[1] أَعْطَاهُ فِي الْأَزَلِ

٣٦ ـ مَدَحْتُ خَيْرَ الْوَرَى أَرْجُو شَفَاعَتَهُ
مِنْ خَالِقٍ جَلَّ عَنْ شِبْهٍ وَعَنْ مَثَلِ

[تمَّت بحمد الله]

(١) كذا في جميع النسخ. ولعل المقصود: تلك الخصلة أو المنحة.